أحداث السيرة النبوية من خلال سورة التوبة

(دراسة استقرائية)

الباحث:

د. نورة بنت عبد الله الغملاس

الأستاذ المشارك بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج

المملكة العربية السعودية

أحداث السيرة النبوية من خلال سورة التوبة
(دراسة استقرائية)

نورة بنت عبد الله الغملاس

قسم العقيدة بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بالخرج المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : n.algemlas@psau.edu.sa

الملخص :

فقد وثق القرآن الكريم جوانب هامة من سيرته ﷺ، وقد اختصت بعض سور القرآن الكريم بتوثيق مواقف من سيرته ﷺ، ومن هذه السور التي اختصت بتوثيق شيئًا من سيرته ﷺ :(سورة التوبة). وقد عزمت في هذا البحث أن أحظى بشرف البحث في سيرته ﷺ من خلال ما وثقته سورة التوبة من جوانب سيرته ﷺ. ويهدف هذا البحث إلى بيان الأحداث والوقائع في السيرة النبوية التي وثقتها سورة التوبة.

مع دراسة الأحاديث الواردة في ذلك دراسة حديثية. باعتبار القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر السيرة النبوية.

وقد كان من أبرز الأحداث التي ذكرت في السورة: انتهاء معاهدة النبي ﷺ للمشركين، وغزوة حنين، وكذلك غزوة تبوك وما أحاط بها من ظروف، كموقف المنافقين في غزوة تبوك، وقصة مسجد الضرار، وقصة الثلاثة الذين خلفوا، وأيضا هجرة النبي ﷺ.

وقد خلصت في هذا البحث أن هناك أحداث فاصلة في سيرة الرسول ﷺ استحقت أن ينزل فيها قرآن يتلى، والإعجاز اللفظي في سرد أحداث السيرة النبوية في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : أحداث – السيرة – النبوية – سورة – التوبة .

The events of the Prophet's biography through Surat Al-Tawbah (inductive study)

Noura bint Abdullah Al-Ghamlas
Department of Faith at Prince Sattam bin Abdulaziz University in Al-Kharj, Kingdom of Saudi Arabia
Email: n.algemlas@psau.edu.sa

Abstract :
The Holy Qur'an documented important aspects of his biography; as some surahs of the Holy Qur'an have specialized in documenting positions on his biography and among these surahs that are concerned with documenting something from his biography (Surat At-Tawbah). In this research, I resolved to gain the honor of researching his biography, PBUH, through what aspects of his biography documented Surat al-Tawbah. This research aims to explain the events and facts in the prophetic biography documented by Surat At-Tawbah. With the study of the hadiths contained in that a hadith study. Considering the Holy Qur'an the first source of the Prophet's biography. One of the most prominent events mentioned in the surah was: The end of the treaty of the Prophet for the polytheists. And Hunayn's battle, as well as the Battle of Tabuk and the circumstances surrounding it: such as the position of the hypocrites in the Battle of Tabuk. And the story of Al-Dharar Mosque. And the story of the three who succeeded. And also the migration of the Prophet. I have concluded in this research that there are decisive events in the biography of the Prophet, PBUH, that deserve to have a Qur'an revealed to be recited, and the verbal miracle in narrating the events of the Prophet's biography in the Holy Qur'an.

Keywords: Events - Biography - The Prophet - Surah - Repentance.

التمهيد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسولنا الكريم أما بعد.

تعد السيرة النبوية من الصفحات المشرقة في تاريخنا الإسلامي العظيم، لا سيما وهي توثق تاريخ النور الذي أضاء للبشرية دروبها، فهي سيرة محمد بن عبد الله ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، داعيًا ومبشرًا ونذيرًا، بعثه الله لينقذ العباد من عبادة العباد لعبادة رب العباد.

لقد كانت بعثته ﷺ حدث تاريخي هام في الحياة الإنسانية، بل هي شرف لها شرفها الله به، ولقد اتخذ توثيق هذه السيرة صنوفًا متعددة عبر الأزمنة والعصور.

ولشرف نبينا العظيم محمد ﷺ فقد وثق القرآن الكريم جوانب هامة من سيرته ﷺ، وقد اختصت بعض سور القرآن الكريم بتوثيق مواقف من سيرته ﷺ؛ بل يعد القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر السيرة النبوية.

ومن هذه السور التي اختصت بتوثيق شيئًا من سيرته ﷺ (سورة التوبة) وقد عزمت في هذا البحث أن أحظى بشرف البحث في سيرته ﷺ من خلال ما وثقته سورة التوبة من جوانب سيرته ﷺ.

موضوع البحث:

اخترت موضوع البحث ليكون أحداث السيرة النبوية من خلال سورة التوبة (دراسة استقرائية)

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الرئيسية في وجود جوانب هامة من سيرة النبي ﷺ وثقتها سورة التوبة تحتاج لمزيد بيان وإيضاح لاسيما أن القرآن الكريم يعد المصدر الأول من مصادر السيرة النبوية.

حدود البحث:

البحث مختص بالمواقف والأحداث من سيرة النبي محمد ﷺ التي وردت في سورة التوبة فقط.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

- التعريف بالسيرة النبوية وعلاقتها بالقرآن.
- بيان الأحداث والوقائع في السيرة النبوية التي وثقتها سورة التوبة.
- شرح وتوضيح الآيات القرآنية التي تكلمت عن السيرة النبوية.
- دراسة الأحاديث الواردة في ذلك دراسة حديثية.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي مع الشرح والتوضيح. وهو المنهج الذي يقوم على حصر جميع جزئيات موضوع البحث والتتبع لما يعرض لها، وملاحظتها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

- الحاجة الماسة لمؤلفات موثقة للسيرة النبوية.
- أن البحث يوثق جوانب هامة من السيرة النبوية ذكرت في القرآن الكريم.
- حاجة المكتبة الإسلامية إلى مؤلفات تبرز علاقة القرآن الكريم بالسنة النبوية.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على فهارس المكتبات، ومراكز البحث، وأهم الرسائل العلمية، والأطروحات، والدراسات والبحوث المحكمة؛ ذات الصلة بالموضوع، وجدت عددًا من الأبحاث التي تناولت سورة التوبة من حيث مقاصدها، وأهدافها، أو موضوعاتها، وفضلها ونحوه، فضلا عن المؤلفات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية حول السيرة النبوية إلا أني لم أجد من اعتنى ببيان أحداث السيرة التي ذكرت في سورة التوبة.

خطة البحث:

وقد رسمت لنفسي خطة أسير عليها في هذا البحث، وهي:

اشتمل البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة.

التمهيد: واشتمل على موضوع البحث وأهميته وأهدافه ومنهجه والدراسات السابقة للبحث.

المبحث الأول: التعريف بالسيرة النبوية وسورة التوبة

المطلب الأول: التعريف بالسيرة النبوية

أ) تعريف السيرة لغة واصطلاحا.

ب) أهمية دراستها وأهم المؤلفات فيها.

المطلب الثاني: التعريف بالسورة

أ) تسمية السورة وفضلها

ب) الموضوعات التي تناولتها السورة

المبحث الثاني: الأحداث الهامة في السيرة النبوية التي ذكرت في السورة.

١) انتهاء معاهدة النبي ﷺ للمشركين.

٢) غزوة حنين

٣) غزوة تبوك وما أحاط بها من ظروف:

أ) موقف المنافقين في غزوة تبوك.

ب) قصة مسجد الضرار.

ج) قصة الثلاثة الذين خلفوا.

٤) هجرة النبي ﷺ.

اسأل الله التوفيق والسداد.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: التعريف بالسيرة النبوية وسورة التوبة.

المطلب الأول: التعريف بالسيرة النبوية.

أ) تعريف السيرة لغة واصطلاحًا.

في اللغة: أطلقت السيرة على السنة، وعلى الهَيْئَةُ أيضًا، ففي التَّنْزِيل قَالَ تعالى ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ {طه: ٢١} ويقال سار بهم سيرة حسنة، أي: طريقة. والجمع سير، وَيُقَال: قَرَأت سيرة فلَان أي : تَارِيخ حَيَاته (١)

أما في الاصطلاح، فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية تعريف السيرة بأنها: الترجمة المأثورة لحياة النبي ﷺ (٢)

ومن خلال الاطلاع على مجموع المؤلفات في السيرة النبوية نجد أن السيرة النبوية تتناول كل ماورد من تفاصيل حياة النبي ﷺ من مولده حتى وفاته، وأحوال عصره، ودلائل نبوته، وما اشتملت عليه سيرته من صفات خلقية وخلقية.

وعليه يمكن أن نطلق السيرة النبوية على:(مجموع الأحداث والوقائع الثابتة بالروايات الصحيحة المتعلقة بحياته ﷺ من قبل الولادة إلى ما بعد الوفاة).

ب) أهمية دراستها.

لدراسة السيرة النبوية أهمية كبيرة يمكن إيجازها فيما يلي:

- أن سيرة الرسول ﷺ تعد منهج متكامل للحياة، فهي تجعل بين يدي الإنسان صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، ليتمسك به ويحذو حذوه، فقد جعل الله تعالى الرسول محمدًا ﷺ قدوة

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، (١/ ٢٩٩) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ص: ١٥٩) المعجم الوسيط (١/ ٤٦٧) المحكم والمحيط الأعظم ، علي بن إسماعيل بن سيده (٨/ ٥٧٣)

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. وآخرون (١٥٢/٢).

للإنسانية كلها، حيث قال سبحانه وتعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب:٢١).

- السيرة النبوية تعين على فهم كتاب الله ، فكثير من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ.
- السيرة النبوية نموذج حي عن طرائق التربية والتعليم، يستفيد منه المعلم والداعية المسلم. فقد كان الرسول محمد ﷺ معلمًا ناجحًا ومربيًا فاضلاً، لم يأل جهدًا في تلمس أجدى الطرق الصالحة في التربية والتعليم، خلال مختلف مراحل دعوته.
- أحداث السيرة النبوية تتيح لنا التعرّف على جيل الصحابة الفريد، الذي كان صدى للقرآن، وكان التطبيق العملي لحكم الله أمرًا ونهيًا [1].

المطلب الثاني: التعريف بالسورة.

أ) تسمية السورة ونوعها.

سميت السورة بسورة (التوبة) ربما لما ورد فيها من حث على التوبة في عدد من آياتها، وسميت أيضًا بسورة (براءة) لأنها افتتحت بذكر البراءة من المشركين؛ [2] وهما الاسمان اللذان اشتهرت بهما السورة.

ومن خلال الآثار الواردة عن بعض السلف وجدنا أسماء أخرى لهذه السورة غير ما اشتهرت به، ذكرها ابن الجوزي فقال:(ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة وهذان مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب،

(١) أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، محمد بن محمد العواجي (ص: ٢٤)

(٢) روى البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى:(براءة من الله ورسوله.) (٦/ ٤٦٥٤/٦٤) من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت براءة) وقد نقل ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٣٠) عن بعض العرب: أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهوداً تُنْبَذُ، ووصايا تُنَفَّذ.

قاله حذيفة [١]. والرابع: المُقَشْقِشَة، قاله ابن عمر [٢]. والخامس: سورة البَحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود[٣]. والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس[٤]. والسابع: المبعثِرة، لأنها بعثرت أخبار الناس؛ وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد وابن إسحاق [٥]. والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة [٦].

---

(١) وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (يسمونها سورة التوبة وإنها لسورة عذاب يعني براءة)
انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور،للسيوطي (٤/ ١٢١)

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ١٢١)(قال ابن عمر: (وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي ما كنا ندعوها إلا المقشقشة) وقد ذكر البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٣٥١) (وجه تسميتها بذلك لأنها المبرئة من النفاق، من تقشقشت قروحه، إذا تقشرت للبرء، وتوجيهه أن من عرف أن الله برئ منه ورسوله والمؤمنون لأمر فهو جدير بأن يرجع عن ذلك الأمر).
، وعندي أيضا أنه مضاعف القش الذي معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين وأحوالهم

(٣) أخرج الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٦٨) قال: حدثنا سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا بقية بن الوليد قال: حدثنا حريز قال، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة قال، حدثني أبو راشد الحبراني قال: وافيت المقداد بن الأسود فارسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، قد فَضَل عنها من عِظَمه، يريد الغزو، فقلت له: لقد أعذر الله إليك! فقال: أبَتْ علينا "سورة البُحُوث":

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القران باب سورة الحشر(٦/ ١٤٨/ ٢٨٨٤) ومسلم في صحيحه كتاب التفسير باب في سورة براءة (٣٠٣١/٢٤٥/٨) وقد أخرجه أيضا ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩) عن محمد بن يحيى أنبأ العباس ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة قوله: قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون قال: كانت هذه السورة تسمى:(الفاضحة- فاضحة المنافق) وأورده الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٢) عن بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة.

(٥) قال السمعاني في تفسيره:(٢/ ٣٢٣): (قَوْله تَعَالَى: {أَن تنزل عَلَيْهِم سُورَة تنبئهم بِمَا فِي قُلُوبهم} وَقد بَينا أَن هَذِه السُّورَة تسمى المبعثرة والفاضحة) وقال الشوكاني في فتح القدير (٢/ ٣٧٩) :(وأخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: كانت براءة تسمى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة لما كشفت من سرائر الناس)

(٦) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٦/ ١٨٢٩) قال:(حدثنا محمد بن يحيى أنبأ العباس ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة قوله: قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون قال: كانت هذه السورة تسمى: الفاضحة- فاضحة المنافقين- وكان يقال لها: المثيرة- أنبأت بمثالبهم وعوراتهم)

والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزّجّاج [١]) [٢].

وربما كان لتنوع القضايا والموضوعات التي عالجتها السورة الكريمة أثر كبير في تعدد مسمياتها، فالآثار الواردة في أسماء السورة تكشف عن معان جوهرية تناولتها السورة.

والسورة مدنية إلا الآيتين الأخيرة فمكية، وذكر مجاهد أنها آخر ما نزلت من السور[٣] وقد روى البخاري في صحيحه: (عن البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةَ، وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ} [النساء: ١٧٦])[٤]

ب) الموضوعات التي تناولتها السورة.

من خلال استقراء كتب التفاسير نجد أن الهدف العام للسورة هو: تنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم، وفيها أيضا تذكير بأن أشرف العلاقات وأولاها بالعناية علاقة المسلم بربه فورد الحث على التوبة، ثم عرضت ميثاق تعامل المسلمين مع غيرهم لاسيما وأنها نزلت في أواخر حياة النبي محمد ﷺ.

وهذه السورة كشفت عن صفات المنافقين، وفضحت أفعالهم، وبينت خبث نواياهم، وأذيتهم للرسول ﷺ.

كما حوت السورة كثير من الإرشادات، والتوجيهات التي يحتاجها المسلمين في شؤون حياتهم [٥].

---

(١) في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٣٧) وورد عن الحسن البصري كما في التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/ ٩٦)

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي(٢/ ٢٣٠) تفسير الرازي (١٥/ ٥٢١)
ولعل بعض التسميات أخذت من المواضيع التي تكلمت عنها السورة.

(٣) درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني (٢/ ٨٥٧) تفسير الرازي (١٥/ ٥٢١)

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير باب {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ (٦/ ٤٦٠٥/٥٠)

(٥) وللمزيد حول السورة وفضلها وتسميتها ومقاصدها انظر:
تفسير ابن كثير (٤/ ١٠١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(٣/ ٧٠) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٧٨) التيسير في أحاديث التفسير لمحمد المكي الناصري (٢/ ٣٤١) التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٥٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١١٢)

ويمكن إيجاز أهم المواضيع التي تناولتها السورة فيما يلي:

١- تنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم خصوصا أهل الكتاب سواء العلاقات الداخلية أو الخارجية ومن محاوره الجهاد في سبيل الله والبراءة من المشركين.

٢- كشف خطر المنافقين وبيان حقيقتهم وفضح أفعالهم ورسم سياسة للتعامل معهم.

٣- توجيهات للقائد المسلم في علاجه لقضايا المجتمع، وما يواجهه من عقبات.

المبحث الثاني: الأحداث الهامة في السيرة النبوية التي ذكرت في السورة.

١) انتهاء معاهدة النبي ﷺ للمشركين.

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوثق مطلع السورة الكريمة حدثا هامًا في تاريخ السيرة النبوية، فكتب السيرة النبوية تحكي لنا أن فتح مكة كان في العام الثامن من الهجرة، وفيه أظهر الله عز المسلمين وذل المشركين، ومع ذلك لم يمنع المشركين من مزاولة طقوسهم الجاهلية في مواسم الحج.

ولكن بحلول العام التاسع للهجرة الذي كان عام عزة وقوة للمسلمين، حج أبو بكر الصديق بالناس بأمر من الرسول ﷺ، ولما خرج أبو بكر بالناس من المدينة نزلت سورة براءة، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدر سور براءة ليعلنها على الناس في موسم الحج يوم النحر وهو العاشر من ذي الحجة، وقال النبي (لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي) ولما رأى أبو بكر علياً سأله: أأمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور، فمضيا؛ أبو بكر أمير على الحج وعلي يبلغ صدر سورة براءة، ويساعده عدد من الصحابة في النداء بها منهم أبو هريرة. والطفيل بن عمرو الدوسي [(١)]، وقد ذكر علي بن أبي طالب أنه

(١) أخرج البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب حج أبي بكر بالناس سنة تسع (٥/ ١٦٧/ ٤٣٦٣) ومسلم في صحيحه كتاب الحج باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحج الأكبر (٢/ ١٣٤٧/٩٨٢) من حديث الزُّهْرِيِّ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَهُ، فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا قَبْلَ =

بعث بأربع: (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج بعد العام مشرك، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته) (١)

إذًا صدر هذه السورة العظيمة قد تضمن حسم لمصير الوثنيين، وتنظيم لعلاقة المسلمين كما تعطي الآيات في جوها العام بشارة عز ونصر للمسلمين، وذل للمشركين.

فبعد أن أقر الله أعين المسلمين بفتح مكة، توالت عليهم مفاخر العز والتمكين فكانت هذه الآيات التي رسمت الطريق للمحافظة على ذلك.

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ فالآيات تبين مرحلة هامة من مراحل دعوة النبيﷺ، فبعد أن أمضى عقدين من عمره ﷺ في دعوته للمشركين، بلغ خلالها

=

حَجَّةِ الوَدَاعِ، يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ «لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ» وفي رواية للبخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى(وأذان من الله ورسوله إلى الناس) (٦/ ٤٦٥٦/٦٤) قَالَ حُمَيْدٌ: ثُمَّ «أَرْدَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ بِبَرَاءَةَ، «وَأَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الحج باب ما جاء في كراهية الطواف عريانا (٢/ ٨٧١/٢١٤) وفي أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة (٥/ ٣٠٩٢/١٢٧) قال: حدثنا علي بن خشرم. وفي (٨٧٢) قال: حدثنا ابن أبي عمر ونصر بن علي. وفي (٣٠٩٢) قال: حدثنا ابن أبي عمر، (ح) وحدثا نصر بن علي وغير واحد. وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٩٤/٣٢) والحميدي في مسنده (١/ ٤٨/١٧٧) والدارمي في سننه (٢/ ١٩٦٠/١٢٢٢) قال: أخبرنا محمد بن يزيد البزار ستتهم –الحميدي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن يزيد، وعلي، وابن أبي عمر، ونصر– عن سفيان بن عيينة، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يثيع أو أثيع، فذكره. والحديث صحيح ورجاله ثقات. قال الترمذي:(حديث على حديث حسن صحيح)

الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، تحتم عليه أن يسلك بعد ذلك مسلكاً آخر أوحاه الله إليه، مبتدئًا بإعلان البراءة منهم كما في الآيات؛ و منع حج المشركين بعد العام التاسع، وأعلن الحرب عليهم، لكنه أمهل المعاهدين منهم إلى انتهاء مدتهم(١)، وأمهل من له عهد إلى أجل غير محدود – أو إلى أجل محدود قد نقضه – أربعة أشهر متتابعة، تبتدئ في العاشر من ذي الحجة، وتنتهي في نهاية العاشر من ربيع الآخر، وأمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، أي: خمسين يومًا تنتهي بنهاية المحرم، فإذا انتهت مددهم صاروا في حالة حرب مع المسلمين.

ولكن هذا التنظيم الجديد للعلاقات مع المشركين أثار شيئًا من المخاوف لدى بعض المسلمين، إذ ربما يؤثر على الحالة الاقتصادية لهم وربما يؤدي لكساد تجارتهم، فأنزل الله تطمينًا لهم: ﴿٢٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٨﴾ (التوبة)

روي عن ابن عباس (٢) ومجاهد (٣) وعكرمة (٤) وسعيد بن جبير (٥) وقتادة(٦)والضحاك(٧)وغيرهم(٨): (أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره. قالت قريش: (لينقطعن عنا المتاجر

(١) قال ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٤٤) (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) ، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية، إلى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش، فلم يكن نقضها إلا هذا الحي من قريش، وهي الديل من بني بكر بن وائل، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم. فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدته.

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٣)

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٣٦٧)

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٤)

(٥) تفسير سفيان الثوري (ص: ١٢٤)

(٦) تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٤٣)

(٧) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٥)

(٨) تفسير الطبري (١٤/ ١٩٥) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٧٧)

والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منها)، فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون) (١)

ومن هنا انطلق محمد ﷺ في دعوته، متبعًا نظاما جديدًا، فبعث ﷺ البعوث للدول والقبائل المجاورة، وفقًا للتعليمات التي نزل بها الوحي، فقد أرسل النبي ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل قبل حجة الوداع، وأوصاهما بقوله:(يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) (٢).

وقال لمعاذ: (إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك ذلك؛ فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) (٣)

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٥)

(٢) روى البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٥/ ٤٣٤١/١٦١)عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى اليَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلاَفٍ، قَالَ: وَاليَمَنُ مِخْلاَفَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَيُّمَ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ، قَالَ: لاَ أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَانْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَقَوَّقُهُ تَقَوُّقًا، قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع(٥/ ٤٣٤٧/١٦٢)، وفي الزكاة، باب وجوب الزكاة، وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٢/ ١٤٥٨/١١٩)، وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء،(٢/ ١٤٩٦/١٢٨) ومسلم في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام(١/ ١٩/٥٠) بطرق عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد، عن ابن عباس

وكانت هذه البعوث التي أرسلها عليه السلام رسل خير، تنشر الخير والبشارة والسلام لكل من بعثت إليه.

وقد ختم هذا المقطع من السورة بإعادة الأمور لموازينها الصحيحة، ونسف لما توارثه المشركين من أهل مكة من أولويتهم بالبيت العتيق. فسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام التي كانت تفاخر بها قريشًا لم تعد هي المعيار الحقيقي للمفاضلة بين الناس، وأحقيتهم بالبيت الحرام، بل المعيار الأساسي في المفاضلة هو الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن إسحاق: (ثم ذكر قول قريش: (إنا أهل الحرم، وسقاة الحاج، وعمار هذا البيت، فلا أحد أفضل منا)، فقال: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) أي إن عمارتكم ليست على ذلك، وإنما يعمر مساجد الله أي من عمرها بحقها)[١]

وهذه الآيات توثق حقبة تاريخية مهمة من السيرة النبوية، فهي تشير إلى سيادة قريش منذ عهد جد النبي ﷺ قصي بن كلاب الذي تولى الرفادة [٢] لحجاج بيت الله الحرام، وأصبحت سنة تقليدية متوارثة في قبيلته، كما تولت قريش السقاية [٣] والحجابة (أو السدانة) [١] واللواء ودار الندوة [٢] وكلها مناصب شرف لقريش تميزت به على غيرها من القبائل.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٤٧)

(٢) (الرفد) بكسر الراء العطاء والصلة، وقال أبو عبيدة: الرفادة شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان على قدر طاقته فيجمعون مالا عظيما أيام الموسم، ويشترون به الجزر والطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى ينقضي الموسم، وكان أول من قام بذلك هاشم بن عبد مناف، ويسمى هاشما لهشمه الثريد.

تهذيب اللغة (١٤/ ٧٢) لسان العرب (٣/ ١٨١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٤٢) المغرب في ترتيب المعرب (ص: ١٩٣)

(٣) من السقي وهو إشراب الشيء الماء، والسقاية: الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في الموسم. وسقاية الْحَاج سقيهم المَاء ينْبذ فِيهِ الزَّبِيب وَكَانَت من مآثر قُرَيْش.

=

٢) غزوة حنين.

من المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين:(غزوة حنين) وقد كتبت كتب السيرة الصفحات الطوال عن ما تعرض له رسول الله ﷺ في حنين، وعن الابتلاء الذي أصابه والمؤمنين، لكن تلك القصة التاريخية الخالدة قد أوجزتها السورة الكريمة؛ بأسلوب معجز، بليغ، في ثلاث آيات فقط.

قال تعالى: ﴿٢٤ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾

تصور الآيات الكريمة سير الغزوة بدقة متناهية، وبإيجاز بليغ، فقد وثقت هذه الآيات ما جرى قبلها من فخر المسلمين، واعتزازهم بأنفسهم، وكذلك ما جرى من شدة، وأوقات عصيبة على الرسول ﷺ ومن معه في أثنائها، ثم الفرج والتمكين والنصر في نهايتها.

لقد استحقت غزوة حنين أن يخلدها التاريخ، وأن ينزل فيها قرآن يتلى، ففضلا عن أنها من المعارك الحاسمة في السيرة النبوية، فقد حملت في طياتها دروسا بالغة للمسلمين.

=

لسان العرب (١٤/ ٣٩٢) مقاييس اللغة (٣/ ٨٥) المعجم الوسيط (١/ ٤٣٧)

(١) السدن: الستر، والسدانة: الحجابة.، وسدنة البيت: حجبته. و حجابة الكعبة، وهي سدانتها، وتولي حفظها، وهم الذين بأيديهم مفتاحها.

لسان العرب (١/ ٢٩٨) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٤٩٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٤٠)

(٢) إشارة إلى الدار التي بناها قصي بن كلاب وهي دار للرأي والاستشارة، يحضره كبار العشيرة ويتشاورون فيما يحدث من حادث لهذه العشيرة،

فمن خلال استقراء كتب السيرة نجد أن المعركة حدثت بعد فتح مكة، حينما شعرت هوازن بالخطر بعد الفتح المبين، فأرادوا مقاومة جيش المسلمين، فأجمعوا أمرهم بقيادة (مالك بن عوف) وقد حاول جمع القبائل حوله لتأييده، ونصرته، فانضم تحت لوائه عدد من القبائل؛ التي صد الله قلوبها عن الإسلام آنذاك، فخرجوا بأنفسهم، وأهلهم، وأموالهم.

وقد بين أنس رضي الله عنه هدفهم من ذلك، فقال:(أَنَّ هَوَازِنَ جَاءَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالصِّبْيَانِ، وَالنِّسَاءِ، وَالْإِبِلِ، وَالنَّعَمِ، فَجَعَلُوهُمْ صُفُوفًا يُكَثِّرُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ)[١]

ولكن لم يكن لتلك الجموع هيبة عند النفوس الواثقة بنصر الله تعالى، وليس أبلغ من الدلالة على ذلك بقوله ﷺ (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله)[٢] عندما أخبره الصحابي بما رأى من جموع هوازن وأموالها.

لقد ربى النبي ﷺ النفوس على مبدأ التعلق بالقوة الحقيقية من الله، والتي كانت سببا في نصرتهم يوم بدرٍ، وأحد وغيرها –على قلتهم– إلا أن بعض النفوس كانت بحاجة لمزيد من الدروس لتتربى على هذا المبدأ العظيم، فأبت إلا التعلق بالنصر المادي؛ فأعجبت بالكثرة، وكان العتاب من الله تعالى في هذه الآيات :(إذا أعجبتكم كثرتكم) التي لم تكن لتغني عنهم من الله شيئًا لو وكلهم إليها[٣].

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٢١/ ١٣٩٧٥/٣٩٦) والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال (٣/ ١٨٠٩/١٤٤٣) قال: حدثنا محمد بن حاتم، وأحمد في المسند (٢٠/ ١٢٩٧٧/٢٩١) قالا: حدثنا بهز وأخرجه أيضا أحمد في المسند في (٢١/ ١٣٩٧٥/٣٩٦) قال: حدثنا عفان. وأبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في السلب يعطى للقاتل (٤/ ٢٧١٨/٣٥١) قال: حدثنا موسى بن إسماعيل كلهم عن حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبد الله.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب فضل الحرس في سبيل الله (٤/ ٢٥٠١/١٥٥) من طريق أبو توبةَ، حدَّثنا مُعاويةُ –يعني ابنَ سلَّام–، عن زيدٍ –يعني ابنَ سلَّام–، أنه سمع أبا سلّامٍ قال: حدثني السَّلُوليُّ أبو كَبشةَ. وإسناده صحيح.

(٣) ذكر ابن هشام في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفا.

لقد حملت حنين في مطلعها مظاهر هزيمة للمسلمين، أدت إلى أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، بل ولو مدبرين، إلا أن الله عز وجل ثبت رسوله ﷺ، وأنزل على المؤمنين السكينة والنصر، وقد نقل لنا البراء بن عازب رضي الله عنه صورة ذلك؛ عندما سأله رجل فقال:(أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزل نصرك»، قال البراء: «كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ» [1]

لقد شاء الله تعالى أن تخلد هذه الآيات المواقف البطولية للمسلمين في غزوة حنين، وتزرع في نفوسهم مبدأ التوكل على الله، وأن النصر من عنده، بل لقد أمدهم الله تعالى بقوة معنوية؛ تمثلت في إنزال السكينة، وتثبيت قلوب المؤمنين، وقوة مادية إذ أنزل لهم مدد من الملائكة تعاونهم.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

لقد كان يوم حنين منارة للمسلمين في كافة فتوحاتهم، وترسيخًا لإيمانهم بالله سبحانه تعالى، وزيادة لتعلقهم به، وأن النصر من عنده.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: {ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً} (٥/ ٤٣١٥/١٥٣) وفي الجهاد، باب من قاد دابة غيره في الحرب، وباب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم البيضاء (٤/ ٢٨٧٤/٣٢) ، وباب من صف أصحابه عند الهزيمة (٤/ ٢٩٣٠/٤٣) وباب من قال: خذها وأنا ابن فلان (٤/ ٣٠٤٢/٦٧)، ومسلم في الجهاد، باب غزوة حنين،(٣/ ١٧٧٦/١٤٠١)

٣) غزوة تبوك وما أحاط بها من ظروف.

شكلت غزوة تبوك وما صاحبها من مجريات الأحداث؛ صفحة هامة من تاريخ السيرة النبوية، وربما كان لوقوعها في خاتمة عهده ﷺ ما جعلها تحسم أمورًا كثيرة في الخطط العسكرية للمسلمين.

وقد تزاحمت في غزوة تبوك أحداث شتى قبل وأثناء وبعد الغزوة، وقد ذكرت السورة الكريمة هذه الأحداث في سلسلة من الآيات بإيجاز بليغ، وأسلوب بديع، وممكن أن نناقشها في عدة محاور:

أ) موقف المنافقين في غزوة تبوك.

حملت التنظيمات الجديدة التي وردت في مطلع السورة تغيير كبير في خارطة الطريق للمسلمين، وفي علاقتهم مع غيرهم، فبعد أن فتح النبي ﷺ مكة، وأسلم الكثير من أهلها، لم يعد مشركوا مكة هم الخصم الأول للمسلمين، بل بدأت الأنظار تتجه لما هو أبعد من ذلك، ومن هنا بدأ التخطيط للتوسع في الفتح الإسلامي.

ولم تخلوا السورة من إشارات لذلك فقد قال تعالى :(﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

وكان الأقرب، والأعظم خطرا هم الروم، لا سيما وأنهم كانوا يعدون العدة لقتال المسلمين، فجهزوا جيشًا قوامه أربعون ألف مقاتل لملاقاة المسلمين في المدينة.

لم تكن الأمور ممهدة لملاقاة الروم، ففضلًا عن بعد المسافة، والمشقة على المسلمين، وحرارة الجو، والجدب، كان الجيش الإسلامي لا يزال غير مهيأ لقتال الروم لكثرة عددتهم وقوة عتادهم.

لكن لما وصلت الأنباء للرسول ﷺ بزحفهم نحو البلقاء، واقترابهم، عزم على مواجهتهم، وبدأ يخطط لملاقاتهم، فأصدر أوامره ﷺ بالعزم على ملاقاة الروم، والخروج إليهم، حتى لا يستبيحوا شوكة المسلمين؛ بالرغم من الظروف المحيطة بهم.

وقد اتخذ ﷺ منهجية في الإعلان لهذه الغزوة غير ما عهده عنه الصحابة، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا، واستقبل غزو عدو كثير، فجلى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة عدوهم، وأخبرهم بوجهه الذي يريد» (١)

فكان حريصًا على الاستعداد المعنوي والمادي لهذه المعركة، فحث على التجهيز للجيش والإكثار من الصدقات، فاستجاب له المخلصون الصادقون فأخرجوا كرائم أموالهم.

وعلى الرغم من صعوبة الموقف على الرسول، ومن معه فقد استغل المنافقون الموقف لبث الإشاعات، والإرجاف بين صفوف المسلمين، بل ويسخرون منهم، ويلمزونهم.

قال ابن عباس في قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾٧٩ : (وَذلِكَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَطَبَ ذاتَ يَوْمٍ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكٍ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَقَالَ : " اجْمَعُوا صَدَقَاتِكُمْ " فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه بأَرْبَعَةِ آلاَفِ دِرْهَمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : " أَكْثَرْتَ! هَلْ تَرَكْتَ لأَهْلِكَ شَيْئاً؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ لِي ثَمَانِيةُ آلاَفٍ، فَأَمْسَكْتُ أَرْبَعَةً لِنَفْسِي وَعِيَالِي وَهَذِهِ أَرْبَعَةُ آلاَفٍ لأُقْرِضَهَا رَبِي، فَقَالَ ﷺ : (بَارَكَ اللهُ لكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة فورى بغيرها (٤/ ٢٩٤٨/٤٨) وغيره.، ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك (٤/ ٢١٢٨/ ٢٧٦٩) بطرق عن الزهري، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: سمعت كعب بن مالك.

وَبَعْدَهُ جَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه بنَحْوٍ مِنْ ذلِكَ، وَجَاءَ عُثْمَانُ رضي لله عنه وَصَدَقَتُهُ، وَجَاء عَاصِمُ ابْنُ عَدِيّ الأَنْصَارِيُّ بسَبْعَينَ وسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، وَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْلَتِي كُلُّهَا أَجُرُّ بالْحَرِيرِ حَتَّى أَصَبْتَ ثُلُثَ صَاعَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فأَمْسَكْتُهُ لِعِيَالِي، وَأَمَّا الآخَرُ فَأُقْرِضُهُ رَبي، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَشُدَّهُ فِي الصَّدَقَةِ. فَطَعَنَ فِيهِمْ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُواْ: وَاللهِ مَا جَاءَ هَؤُلاءِ بصَدَقَاتِهِمْ إلاَّ رِيَاءً وَسُمْعَةً، وقَالُوا فِي أبي عَقِيلٍ: إنَّهُ جَاءَ لِيُذْكِّرَ بنَفْسِهِ وَيُعطِي مِنَ الصَّدَقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، وَإِنَّ اللهَ أَغْنَى عنْ صَاعِ أبي عَقِيلٍ، فأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَة) (١)(٢)

ليس هذا فحسب بل بدأ الوجه الخبيث لهم يظهر؛ بخذلانهم للرسول ﷺ، والاعتذار عن المشاركة معهم في هذه الغزوة، ولقد صورت السورة الكريمة مجريات هذه الأحداث تصويرا دقيقا، قال تعالى:﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٠)

(٢) وأخرج البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات} [التوبة: ٧٩] (٦/ ٤٦٦٨/٦٧) قال: حدثني بشر بن خالد أبو محمد، قال: أخبرنا محمد بن جعفر. ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الحمل أجرة يتصدق بها، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل (٢/ ١٠١٨/٧٠٦) قال: حدثني يحيى بن معين، قال: حدثنا غندر ح وحدثني بشر بن خالد، قال: أخبرنا محمد، يعني ابن جعفر. (ح) وحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثني سعيد بن الربيع (ح) وحدثنيه إسحاق بن منصور، قال: أخبرنا أبو داود، كلهم عن شعبة، عن سليمان الأعمش، عن شقيق أبي وائل، عن أبي مسعود، قال: " لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء، فنزلت: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، والذين لا يجدون إلا جهدهم} [التوبة: ٧٩] " الآية

يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

ولقد فضحت هذه السورة المنافقين، وكشفت عن خبث نواياهم، وحججهم الواهية قال تعالى:

﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

ومع تخلفهم عن رسول الله ﷺ بل راحوا يثبطون المؤمنين عن المشاركة مع رسول الله، قال تعالى: ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾

وفي مقابل هؤلاء كانت هناك نفوس تتوق للمشاركة مع رسول الله ﷺ، ويبكون حزنا ألا يستطيعون مشاركته، حكت عنهم كتب السير، وخلدت ذكرهم السورة الكريمة، قال تعالى:(﴿٩٢﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٩٣﴾

لقد كانت غزوة تبوك غزوة عسيرة على المسلمين، وامتحان للمؤمنين، فهم لا يعلمون ما سيواجهونه من وعثاء السفر، وتجهيزات العدو، وغيرها من المخاوف.

وقد علم الله تثاقل بعض المسلمين عنها، فنزل الوحي يشد من أزرهم، ويقوي عزائمهم:{ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

مكث النبي ﷺ أيامًا في معسكر تبوك، فلما تيقن من زوال خطر الروم، رجع قافلًا إلى المدينة، مبتهجًا بانتصاره، فخورًا بمن معه من المؤمنين المخلصين، وربما كان لسان الحال لكل من حضر الظروف والملابسات التي حدثت قبل وبعد المعركة:(ما مصير أولئك المنافقين الذي صدرت منهم التصرفات السلبية التي ربما كانت ستؤثر في مجريات هذه الغزوة التاريخية).

لقد أمر الله تعالى نبيه الكريم بالتعامل بحزم مع أولئك المنافقين، وقد وثقت ذلك هذه السورة في قوله تعالى:(﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾

وذمهم الله تعالى بقوله :(رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾

ولقد حسم الله تعالى أمرهم ، وفضحهم على الملأ، بقوله:(يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴿٩٦﴾

أما المسلمون الصادقون المخلصون؛ فقد حملت لهم هذه السورة أعظم وسام شرف؛ حين قال الله تعالى عنهم:(﴿٨٨﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩

وأيضًا :(١١٦ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧

وهكذا أسدل الستار على غزوة تبوك بفضح المنافقين على الملأ، وبذلك انكشفت الأقنعة ولم يعد التعامل معهم على أساس الستر والعفو، بل صارت المواجه والمفاصلة أساس التعامل معهم.

ب) قصة مسجد الضرار.

من الأحداث التي وثقت في غزوة تبوك، مسجد الضرار والتي ذكرت في قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨

كانت فكرة إنشاء هذا المسجد –التي روج لها القائمون عليه– تيسيرًا لذوي الحاجات وأصحاب العلل في الليالي الماطرة، والليالي الشتوية، هذا هو ما حاولوا الترويج له وإظهاره، لكن الفكرة الأساسية أنه وضع للتفريق بين المسلمين، ومأوى لمن حارب الله ورسوله، فهو قائم على فكرة خبيثة تحاول أن يكون مركزًا للتخطيط للقضاء على المسلمين، ومأوى لمن في قلبه كراهية للرسول ومن معه، وقد حاولوا أن يضفوا عليه الصفة الشرعية فور بنائه؛ فعرضوا على الرسول ﷺ الصلاة فيه، فصرفه الله عنه في أول الأمر كما ذكر ابن إسحاق (١)

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٢٩)

ولكن الوحي قد كشفهم وبين خبث نواياهم، ونهى النبي ﷺ عن الصلاة فيهقال تعالى:(لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾

لقد كان بناء مسجد الضرار بصمة ذل وعار في تاريخ المنافقين، ففضلًا عن أنه فضح مخططاتهم الدنيئة لهدم الإسلام، كشف عن منهجية المنافقين القائمة على الخيانة والغدر، وقد صورها تعالى أبلغ تصوير حين أورد التساؤل في الآيات:(﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

ج) قصة الثلاثة الذين خلفوا.

غزوة تبوك من الغزوات الفارقة في تاريخ الإسلام، فقد انكشفت فيها أقنعة النفاق، وتبين من خان الله ورسوله، ولم يتخلف عن هذه الغزوة إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء¨

لم تكن غزوة تبوك في مطلعها غزوة يسيرة، فالحر الشديد، والسفر البعيد، والعدو الكثير كلها عوامل ربما تتسلل للنفوس الضعيفة، فتثنيها عن المشاركة في هذه الغزوة.

استجاب الصادقون المخلصون لرسول الله ﷺ وتقاعس المنافقون عنها إلا ثلاثة استثناهم الله من النفاق، وكان في تخلفهم عن رسول الله دروس وعبر وثقتها الآيات الكريمة.

فالآيات الكريمة قد ذكرت ثلاثة رجال من الصحابة، برأتهم من ذلك، وطهرت أنفسهم من النفاق، ووصفتهم بالصدق، ولم يكن تخلفهم عن رسول الله ﷺ إلا ابتلاء من الله لهم، وكان صدقهم مع الله ورسوله منجاة لهم.

كان كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع قد عرفوا في وسط الصحابة بإخلاصهم لله ورسوله، ولم تشوبهم شائبة النفاق قط، لكن الله تعالى ابتلاهم بتخلفهم عن رسول الله ﷺ، فلما جاءه المتخلفون يعتذرون قبل

منهم ما قدموه من أعذار، أما هؤلاء الثلاثة فاعترفوا لرسول الله أن لم يكن لهم عذر، فخلفهم رسول الله وأرجئ قبول عذرهم.

وكان عاقبة ذلك أن وجد النبي ﷺ في نفسه منهم، وأمر الناس بمقاطعتهم، حتى يقضي الله فيهم، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم.

وقد استمرت معاناتهم من عاقبة تخلفهم في جفوة الناس لهم، ومقاطعتهم حتى أقربائهم، بل وزوجاتهم (خمسين يومًا)، اشتد عليهم البلاء، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، حتى جاءهم الفرج، يبشرهم بتوبة الله عليهم من خلال هذه الآيات.

لم تكن هذه الخمسين ليلة يسيرة على هؤلاء الثلاثة؛ بل شعروا فيها بمعاناة نفسية شديدة، ربما كان بإمكانهم أن يخرجوا منها كما خرج منها المنافقون؛ بكذبهم على رسول الله، لكن نفوسهم الأبية أبت الكذب على رسول الله، وعلمت صدق نبوته، وأن إرضائه بالكذب عليه لن يستقيم أبدًا، فآثروا الصدق، وفعلا هو لهم منجاة ، كما قال تعالى في ختم الآيات التي تكلمت عنهم:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾)

وانظر كيف عبر عن ذلك كعب بن مالك بقوله:(فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا، ما بقيت. فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: { لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ [التوبة: ١١٧] إلى قوله { وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ } [التوبة: ١١٩] فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا – حين أنزل الوحي – شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿٩٤ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ...﴿٩٥﴾} [التوبة: ٩٥] إلى قوله {فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ } [التوبة:

٩٦]، قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: { وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ } [التوبة: ١١٨][(١)]

إن الآيات الكريمة توثق حدث فاصل، ودرس هام من دروس السيرة، فالتخلف عن رسول الله أمر عظيم، وخذلان الله ورسوله ليس بالأمر الهين، كما أن الصدق مع الله منجاة عظيمة للمؤمن.

٤) هجرة النبي ﷺ.

لقد كان حدث الهجرة حدثًا تاريخيًا هامًا، لم يكن مجرد انتقال من بلد إلى بلد؛ بل كان انتقال من مرحلة إلى مرحلة في تاريخ الإسلام، لقد حرص كتاب السير على توثيق هذا الحدث الهام بكل تفصيلاته حتى الدقيقة منها، إلا أن توثيق الآيات المباركات في هذه السورة قد وثقت مرحلة هامة من مراحل هجرته ﷺ بإيجاز معجز، بديع، بليغ، فقد قال تعالى عن الهجرة:(۝٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٠ لقد وثقت هذه الآيات حقائق هامة تتعلق بالهجرة النبوية؛ فلم يكن خروجه ﷺ ابتداء باختياره، بل اضطرته جموع الكفر للخروج منها، وذلك بعد محاولات للمكر به ﷺ.

فعندما شع نور الإسلام في المدينة، وجدها الرسول ﷺ ملاذًا آمنًا للمؤمنين فأذن بالهجرة إليها، ولكن ذلك أقض مضاجع الكفر، فثارت ثائرتهم، فأرادوا الانتقام من الرسول ﷺ بشتى الطرق، ذكرت في سورة الأنفال في قوله تعالى: ۝٢٩ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٣٠

(١) أخرجه البخاري وفي المغازي، باب قصة غزوة بدر، وباب غزوة تبوك، (٦/ ٤٤١٨/٣) وغيره. ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك (٤/ ٢٧٦٩/٢١٢٠) وغيره بطرق عن ابن شهاب الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه عبد الله بن كعب.

لقد كانت الهجرة تخطيط رباني لمحمد ﷺ، ابتدأت برؤيا رآها ﷺ، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب» [1] وبعد أن أذن الله لهم بالهجرة هاجر كثير من الصحابة، وتأخر ﷺ وأبي بكر عنهم، ولم يكن أمر هجرة النبي ﷺ وصحبه بالأمر اليسير على المشركين، فهي تشكل خطرًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا كبيرًا على الكفار، فحاولوا عرقلة الهجرة بشتى الطرق، وقد حكت كتب السيرة صورًا كثيرة من محاولاتهم البائسة لثني المسلمين عن الهجرة.

ولقد كان من فضل الله على أبي بكر الصديق أن يكون رفيقه في الهجرة، وأن ينال الشرف الرفيع رضي الله عنه فيسميه تعالى (صاحبه) وأن يكون (ثاني الاثنين).

ولو تأملنا سلوك أبي بكر في الهجرة لعرفنا سر هذا التشريف له، فقد وصف رحلة الهجرة، فقال: (أسرينا ليلتنا ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس، فنزلنا عنده، وسويت للنبي ﷺ مكانا بيدي ينام عليه، وبسطت فيه فروة، وقلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت له: لمن أنت يا غلام، فقال: لرجل من أهل المدينة، أو مكة، قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم، قلت: أفتحلب، قال: نعم، فأخذ شاة، فقلت: انفض الضرع من التراب والشعر والقذى، قال: فرأيت البراء يضرب إحدى يديه على الأخرى ينفض، فحلب في قعب كثبة من لبن، ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها، يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي ﷺ فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التعبير، باب إذا رأى بقراً تنحر (٩/ ٧٠٣٥/٤١) وغيره. ومسلم كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم. (٤/ ١٧٧٩/ ٢٢٧٢) وغيره

فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله، قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال: «ألم يأن للرحيل» قلت: بلى، قال: فارتحلنا..)[١]

لقد كان التخطيط الإستراتيجي للهجرة في غاية الدقة، والحذر، للتوقعات المحتملة من ردود أفعال الكفار، فسخرت كل الإمكانيات المتاحة لذلك، فاتخذا طريقًا مختلفًا ودليلا لهما ومن يعمي آثار القوم، ومع ذلك كادت يد الكفر أن تصل إليهما لولا عناية الله تعالى، يقول الصديق رضي الله عنه: (كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما») [٢]

وقد سار صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة تحوطه رعاية الله، موعودًا بالنصر والتمكين قال تعالى:(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

الآيات على إيجازها وصفت الخروج وسببه والمكان والحالة النفسية لهما، بل ونزل التطمين من الله تعالى لهما، وحملت له البشارات العظمى، والنصر المبين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام، (٤/ ٢٠١/ ٣٦١٥) وغيره. ومسلم في صحيحه كتاب الزهد، باب في حديث الهجرة ويقال له: حديث الرحل (٤/ ٢٣٠٩/ ٢٠٠٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، (٥/ ٣٦٥٣/٤) وغيره. ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه (٤/ ٢٣٨١/١٨٥٤) وغيره.

الخاتمة

أحمد الله حمدًا كثيرًا، وأشكره شكرًا خالصًا على أن يسر لي، وأعانني على إتمام هذا البحث.

وفي الختام ؛ أرجو أن أكون قد وفقت، وأسهمت – ولو باليسير – في خدمة السنة النبوية المطهرة، فإن وفيت فهو فضل من الله يؤتيه من يشاء، وله الحمد والمنة أبدا، وإن قصرت فهو طبيعة الإنسان وعليه الاعتذار.... والله أسال أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله بدءًا وختامًا، وهو حسبي واليه مناب.

وقد خلصت في ختام هذه الدراسة، إلى النتائج الآتية:

- أن المصدر الأول للسيرة النبوية هو القرآن الكريم
- أن هناك أحداث فاصلة في سيرة الرسول ﷺ استحقت أن ينزل فيها قرآن يتلى
- الإيجاز والإعجاز في الآيات التي تناولت السيرة النبوية.

التوصيات

- تتبع السور والآيات التي تحدثت عن السيرة النبوية
- الحرص على أخذ السيرة من مصادرها الصحيحة.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان١٤١٥، هـ – ١٩٩٥ مـ

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل نوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١،دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ

٣. أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، محمد بن محمد العواجي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.

٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس

٥. تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

٦. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب – بيروت١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٧. تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ) تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ط١، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م

٨. تفسير الرازي مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٤٢٠ هـ

٩. تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١،مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
١٠.تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية١٤١٩ هـ
١١.تفسير القرآن، السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض - السعودية
١٢.التفسير الوسيط لوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
١٣.تفسير سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: ١٦١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م
١٤.تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، ط١ دار الكتب العلمية - بيروت.١٤١٩هـ
١٥.تفسير مجاهد تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)

١٦.تهذيب اللغة، محمد بن أحمد مجاهد، من المحققين، (طرد) الدار المصرية للتأليف والترجمة(تد)
١٧.التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ) ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م
١٨.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. البخاري، محمد بن إسماعيل، عناية: محمد زهير الناصر، ط١،بيروت، دار طوق النجاة للطباعة والنشر والتوزيع،١٤٢٢هـ.
١٩.دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. وآخرون، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م
٢٠.الدر المنثور في التفسير بالمأثور الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركيط١، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.
٢١.دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسيو ط١، مجلة الحكمة، بريطانيا، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م
٢٢.زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٤هـ.
٢٣.زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، ط٢٦،بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢٤.سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ومعه معالم السنن للخطابي، تعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، ط١،بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٥.سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، ط٢،القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٢٦.**سيرة ابن هشام**، تحقيق: عمر عبد السلام القاهرة، الكتاب العربي، ط٣١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢٧.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١،بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤١٧هـ.
٢٨.فتح القدير للشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ط١،دار ابن كثير، دار
٢٩.لسان العرب لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط١، دار صادر، بيروت
٣٠.المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م
٣١.مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر العلمية، الشيخ محمد، ط٥،المكتبة العصرية/ الدار النموذجية، بيروت/ صيدا،١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٣٢.المسند، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف د. عبد الله التركي، ط١،بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٢١هـ_٢٠٠١م.
٣٣.مسند الحميدي، عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي – بيروت، القاهرة
٣٤.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط٢، القاهرة، دار المعارف، (ت.د)

٣٥.معاني القرآن وإعرابه للزجاج معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)
٣٦.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية،١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٧.معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
٣٨.المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي (المتوفى: ٦١٠هـ) تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط١، مكتبة أسامة بن زيد – حلب١٩٧٩
٣٩.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م
٤٠.النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن الأثير الجزري، إشراف: علي بن الحسين الأثري، ط١، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام،١٤٢١هـ،

ترجمة المراجع :

1. adoa2 albyan fy eyda7 al8ran bal8ran ،m7md alamyn bn m7md alm5tar bn 3bd al8adr algkny alshn8y6y (almtofy: 1393h-) ،dar alfkr ll6ba3awalnshrwaltozy3 byrot – lbnan1415, h**1995 – .** m**.**
2. anoar altnzylwasrar altaoyl noar altnzylwasrar altaoyl ، nasr aldyn abo s3yd 3bd allh bn 3mr bn m7md alshyrazy albydaoy (almtofy: 685h-) ،t78y8: m7md 3bd alr7mn almr3shly ،61,dar e7ya2 altrath al3rby – byrot, 1418 h**.**
3. ahmya drasa alsyra alnboyawal3naya bha fy 7yaa almslmyn ،m7md bn m7md al3oagy ،mgm3 almlk fhd l6ba3a alms7f alshryf ،almdyna alnboya.
4. alt7ryrwaltnoyr «t7ryr alm3ny alsdydwtnoyr al38l algdyd mn tfsyr alktab almgyd» ،m7md al6ahr bn m7md bn m7md al6ahr bn 3ashor altonsy (almtofy: 1393h.) aldar altonsya llnshr – tons
5. t78y8: aldktor m7md 3bd alslam abo alnyl ،61, dar alfkr al eslamy al7dytha ،msr1410 h**1989 – .** m
6. t78y8: 3bd alglyl 3bdh shlby ،61, 3alm alktb – byrot1408 h**1988 – .** m
7. tfsyr abn kthyr tfsyr al8ran al3zym ،abo alfda2 esma3yl bn 3mr bn kthyr al8rshy aldmsh8y (almtofy: 774 h-) t78y8: m7mod 7sn ،dar alfkr ،61, 1414 h**1994/.** m

8. tfsyr alrazy mfaty7 alghyb = altfsyr alkbyr ،alrazy ،m7md bn 3mr bn al7sn bn al7syn altymy alrazy alml8b bf5r aldyn alrazy 56yb alry (almtofy: 606h**63**(-, dar e7ya2 altrath al3rby – byrot,1420 h.
9. tfsyr al6bry gam3 albyan fy taoyl al8ran ،m7md bn gryr bn yzyd bn kthyr bn ghalb alamly ،abo g3fr al6bry (almtofy: 310h-) t78y8: a7md m7md shakr ،61,m2ssa alrsala, 1420 h**2000**-.m
10. tfsyr al8ran al3zym labn aby 7atm ،abo m7md 3bd alr7mn bn m7md bn edrys bn almnzr altmymy ،al7nzly، alrazy abn aby 7atm (almtofy: 327h-) t78y8: as3d m7md al6yb ،63, mktba nzar ms6fy albaz – almmlka al3rbya als3odya1419 h.
11. tfsyr al8ran ،alsm3any ،abo almzfr ،mnsor bn m7md bn 3bd algbar abn a7md almrozy alsm3any altmymy al7nfy thm alshaf3y (almtofy: 489h-) t78y8: yasr bn ebrahymwghnym bn 3bas bn ghnym ،61, dar alo6n ، alryad – als3odya
12. altfsyr alosy6 losy6 fy tfsyr al8ran almgyd ،abo al7sn 3ly bn a7md bn m7md bn 3ly aloa7dy ،alnysabory ، alshaf3y (almtofy: 468h-) t78y8wt3ly8: alshy5 3adl a7md 3bd almogod،wa5ron ،61, dar alktb al3lmya ،byrot – lbnan, 1415 h**1994**-.m

13. tfsyr sfyan althory ،abo 3bd allh sfyan bn s3yd bn msro8 althory alkofy (almtofy: 161h**61**،(-، dar alktb al3lmya ،byrot – lbnan, 1403 h**1983**.m
14. tfsyr 3bd alrza8 ،abo bkr 3bd alrza8 bn hmam bn naf3 al7myry alymany alsn3any (almtofy: 211h-) ، drasawt78y8: d. m7mod m7md 3bdh ،61 dar alktb al3lmya – byrot.1419h.
15. tfsyr mgahd tfsyr mgahd ،abo al7gag mgahd bn gbr altab3y almky al8rshy alm5zomy (almtofy: 104h.)
16. thzyb allgha ،m7md bn a7md mgahd ،mn alm788yn ، (6rd) aldar almsrya lltalyfwaltrgma(td)
17. altysyr fy a7adyth altfsyr ،m7md almky alnasry (almtofy: 1414h**61**(-، dar alghrb al eslamy ،byrot – lbnan1405 h-. **1985** m
18. algam3 almsnd als7y7 alm5tsr mn amor alnby sly allh 3lyhwslmwsnnhwayamh. alb5ary ،m7md bn esma3yl ، 3naya: m7md zhyr alnasr ،61,byrot ،dar 6o8 alngaa ll6ba3awalnshrwaltozy3,1422h.
19. da2ra alm3arf al eslamya ،t7ryr: m. t. hotsma ، t.wa5ron ،61, mrkz alshar8a ll ebda3 alfkry ،1418 h-. **1998** m

20. aldr almnthor fy altfsyr balmathor aldr almnthor fy altfsyr balmathor ،glal aldyn alsyo6y ،t78y8: 3bd allh bn 3bd alm7sn altrky61, mrkz hgr llb7oth ،al8ahra, 1424 h**2003** ،- m.

21. drْg ُ aldٌrr fy tfَsyr alayِwalsٌor َ ،abo bkr 3bd al8ahr bn 3bd alr7mn bn m7md alfarsy alasl ،algrgany aldar (almtofy: 471h-) ،drasawt78y8: (alfat7awalb8ra)wlَyd bn a7md bn saِl7 al7ُsَyْn ،(osharkh fy b8ya alagza2): eyad 3bd allِ6yf al8ysyo 61, mgla al7kma ،bry6anya, 1429 h – - **2008** m

22. zad almsyr fy 3lm altfsyr ،3bd alr7mn bn 3ly bn m7md algozy ،63, almktb al eslamy – byrot, 1404h-.

23. zad alm3ad fy hdy 5yr al3bad ،abn 8ym algozya ،t78y8: sh3ybw3bd al8adr alarn2o6 ،626,byrot ،m2ssa alrsala, 1412h/1992m.

24. snn aby daod ،abo daod ،slyman bn alash3th alsgstany،wm3h m3alm alsnn ll56aby ،t3ly8: 3zt 3byd ald3asw3adl alsyd ،61,byrot ،dar abn 7zm ll6ba3awalnshrwaltozy3,1418h/1997m.

25. snn altrmzy ،altrmzy ،abo 3ysy m7md bn 3ysy bn sora ، t78y8wshr7: a7md shakr ،62,al8ahra ،m6b3a ms6fy albaby al7lby,1388h/1968m.

26. syra abn hsham ،t78y8: 3mr 3bd alslam al8ahra ،alktab al3rby ،631410h/1990m.

27. s7y7 mslm ،mslm bn al7gag al8shyry ،t78y8: m7md f2ad 3bd alba8y ،61,byrot ،dar e7ya2 altrath al3rby,1417h.
28. ft7 al8dyr llshokany ،m7md bn 3ly bn m7md bn 3bd allh alshokany alymny (almtofy: 1250h**61**(ـ,dar abn kthyr ،dar
29. lsan al3rb lsan al3rb ،m7md bn mkrm bn mnzor ،61, dar sadr ،byrot
30. alm7kmwalm7y6 ala3zm ،3ly bn esma3yl bn sydh ، t78y8: 3bd al7myd hndaoy ،dar alktb al3lmya ،byrot, 2000m
31. m5tar als7a7 m7md bn aby bkr bn 3bd al8adr al3lmya ، alshy5 m7md ،65,almktba al3srya/ aldar alnmozgya ، byrot/ syda,1420h**1999** / ـm
32. almsnd ،al emam a7md bn 7nbl alshybany ،t78y8: sh3yb alarn2o6wa5ron ،eshraf d. 3bd allh altrky ، 61,byrot ،m2ssa alrsala,1421h**2001** ـm.
33. msnd al7mydy ،3bd allh bn alzbyr abo bkr al7mydy ، t78y8: 7byb alr7mn ala3zmy dar alktb al3lmya ،mktba almtnby – byrot ،al8ahra
34. almsba7 almnyr fy ghryb alshr7 alkbyr llraf3y ،a7md bn m7md bn 3ly alm8ry alfyomy ،62, al8ahra ،dar alm3arf ، (t.d)

35. m3any al8ranw e3rabh llzgag m3any al8ranw e3rabh ، ebrahym bn alsry bn shl ،abo es7a8 alzgag (almtofy: 311h.)
36. alm3gm alosy6 ،mgm3 allgha al3rbya ،64, mktba alshro8 aldolya,1425h/2004m.
37. m3gm m8ayys allgha ،abo al7syn a7md bn fars ،t78y8: 3bd alslam m7md haron ،dar alfkr llnshrwaltozy3 ،byrot, 1399h1979/ .m.
38. almghrb fy trtyb alm3rb ،nasr bn 3bd alsyd aby almkarm abn 3ly ،abo alft7 ،brhan aldyn al5oarzmy alm6rzy (almtofy: 610h.) t78y8: m7mod fa5oryw3bd al7myd m5tar ،61, mktba asama bn zyd – 7lb1979
39. nzm aldrr fy tnasb alayatwalsor ،brhan aldyn aby al7sn ebrahym bn 3mr alb8a3y ،t78y8: 3bd alrza8 ghalb almhdy ،dar alktb al3lmya – byrot 1415h1995 – .m
40. alnhaya fy ghryb al7dythwalathr ،mgd aldyn almbark bn alathyr algzry ،eshraf: 3ly bn al7syn alathry ،61, dar abn algozy llnshrwaltozy3 ،aldmam,1421h،